



الرئيسية ثقافة

أشجار محمد شرف: آثار بعلبك ليست وحدها مؤرّخة المدينة

ضحى الدرويش | الثلاثاء 2025/05/27



لا يرسم شرف من الخارج، بل من الداخل، من حيز التوتر بين المرئي واللامرئي

مشاركة عبر

⊖ حجم الخط ⊕

استحساناً من الجمهور البعلبكي المحب للفن، مع الأخذ بالإعتبار الإختلاف الحاصل في مستوى التلقّي لدى هذا الجمهور للمعرض المعنون "من ذكريات أشجار بعلبك وآثارها" في مجلس بعلبك الثقافي – قاعة الدكتور حبيب الجمال.

لا يقدّم فيه محمد شرف أعمالاً تقليدية تُضاف إلى أرشيف الصور عن المدينة، بل يُقيم حواراً بين الزمن والسطح، بين الشاهد الحيّ (الشجر) والشاهد الجامد (الحجر). لا يمكن قراءة المضمون في إطار العرض الجمالي فحسب، بل في سياق محاولة تبيان العلاقة بين الإنسان والمكان. فاللوحة، هنا، ليست منتجاً زخرفياً، بل هي بنية فلسفية تؤسس لتأملات حول كيفية استمرار تجلّي الزمن رغم ما يبدو من جمود، في مدينة تغيّرت معالمها. فالفن بوصفه ممارسة عقلية قبل أن يكون فعلاً جمالياً، يتقدّم هنا باعتباره وسيلة لإعادة تشكيل الذاكرة عبر المادة البصرية.





اللوحات لا تُروى، بل تُقرأ كنصوص بصرية عن الحضور والغياب. أما الاختيار المتعمد لأشجار بعلبك كموضوع محوري فلا ينطلق من حنين فردي، بل من وعي معرفي، جماعي أحياناً، بموقع هذه الكائنات الحيّة داخل البنية الحضارية للمدينة. فالشجر، على عكس الأطلال، لا يُجسّد الماضي فحسب، بل هو مستمر في حضوره، ولو المحدود أحياناً، متجاوزاً المعنى الرمزي إلى الدور التاريخي، ككائن يخبئ الذاكرة لا بحمولتها العاطفية، بل بإحداثياتها الزمكانية.

أثر يمشي نحو الظل

في إحدى اللوحات (لم يعتمد الفنان إلى إطلاق تسميات على أعماله)، نرى مشهداً لبعلبك من منظور غير مألوف. لا معابد مهيبية تتصدر اللوحة، بل مبانٍ سكنية بسطوح حمراء، تتوارى خلفها الأعمدة الرومانية كأثرٍ مغمور. العمل يتعرّض إلى مشهد مديني لم يعد كما كان عليه منذ عقود، إذ هُدمت البيوت التراثية الحاضرة في اللوحة، وهي التي كانت قائمة، ذات يوم، لتحتل مكانها "عمارات الباطون"، التي أخفت المشهد المطل على المعابد الرومانية، الضائعة في غابة من الإسمنت، بحيث لم نعد نرى شيئاً منها. الشخص الوحيد الذي يسير، في اللوحة، انحداراً نحو المدينة يوحي بعلاقة الإنسان بمسألة الذاكرة؛ وكأن اللوحة تقول: الماضي لا يُستدعى إلا بخطى الحاضر. هنا تتحكم ثنائية الداخل والخارج في التكوين. الإنسان في المقدمة هو المتحرك، الظليل، بينما المكان ثابت لكنه منكشم. هذه المقابلة تذكّرنا بفكرة مارتن هايدغر عن "الوجود في العالم": نحن لا نعيش في المكان، بل نتموضع ضمنه زمنياً ووجودياً.

الطبيعة كزمن لا خلفية

في الأعمال المنقّذة بتقنية الألوان الزيتية، تحضر الطبيعة، أو بالأحرى أجزاء منها، بتكوينها البسيط، مع غياب لافت للبشر. تبدو الأشجار ككائنات حية شاهدة على مرور الزمن. لا أوراق، لا حياة صاخبة في بعض الأشجار، فقط أغصان عارية، وسكونٌ ذهبي يمتد حتى الأفق. هذه اللوحات لا تسجّل منظرًا طبيعيًا، بل توثق لحظة وجودية. الغروب، أو ربما الشروق، ليس لحظة زمنية هنا، بل هو سؤال مفتوح حول الوقت. الطبيعة لا تُعرض كزينة، بل كمرآة لصمتٍ داخلي. يبدو وكأن العمل الفني يقول: حتى الفراغ يتكلم حين نصغي جيداً.

المدينة الغائبة خلف الشجر



الجدوع. هذه اللوحة تذكرنا بنقد ما بعد حداتي لفكرة المركز، حيث تتحرر العناصر من تراتبيتها المعتادة، وتدخل في علاقة أفقية.

الطبيعة لا تخدم الإنسان هنا، بل تعلّقه في فضاءها. إن ما يجمع هذه اللوحات الثلاث هو الإيمان بأن اللون أداة تفكير، وأن التكوين ليس مجرد جماليات بصرية، بل بُنية فلسفية. لا يرسم شرف من الخارج، بل من الداخل، من حيز التوتر بين المرئي واللامرئي، بين المكان كموقع جغرافي، وأداة للذاكرة. يرسم لا ليصف، بل لي طرح سؤالاً، أسئلة عديدة لا يغيب عنها العامل البيئي. في كل لوحة سنرى شجرة مقطوعة، ولم يبقَ منها سوى جذع يابس لا يمتد عمودياً كما في الأشجار المجاورة.



أسلوب شرف التشكيلي لا يتوسل الواقعية في مفهومها المعروف، بل يتعامل مع اللون بوصفه حاملاً



الجهل فعله في تلك اللحظة، لكن ذكرى تلك الأشجار بقيت حاضرة في هذه اللوحات.

مشاركة عبر

⊖ حجم الخط ⊕

التعليقات

التعليقات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

التعليقات: 0 فرز حسب الأقدم

إضافة تعليق...



المكون الإضافي للتعليقات من فيس بوك

مقالات أخرى للكاتب

هل الأمومة ضرورة بيولوجية أم تجربة ميتافيزيقية؟

الجمعة 2025/03/21

نساء سوريا بين الأمس واليوم: "بين الزند و الترنند"

السبت 2025/03/08

سوريا.. في الأرقام والصور

الأحد 2025/01/19



الإيغور كطبقة أنساب جديدة في سوريا



الأغنية التي ردت بها ليلي مراد على إسرائيل



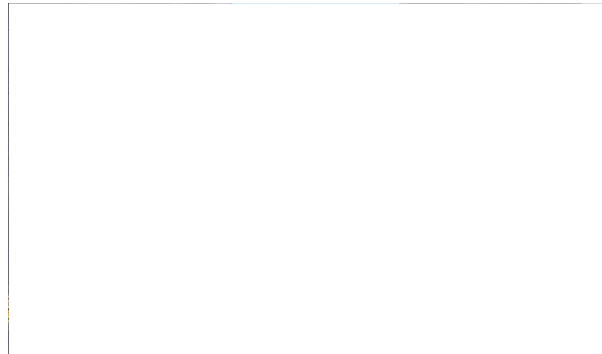
الأعمال الكاملة لإياد شاهين: القصائد يُنقذها ...



سلمان رشدي: من الفتوى إلى "السكين"



توبي ناثان: الأمراض النفسية مرآة الثقافة



تابعنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي



اشترك في نشرتنا الإلكترونية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث

أدخل بريدك الإلكتروني

اشترك الآن



جريدة "المدن" الإلكترونية جريدة الكترونية مستقلة مقرها بيروت تمثل التيار المدني اللبناني والعربي

روابط سريعة

الرئيسية	رأي
سياسة	ثقافة
اقتصاد	ميديا
عرب و عالم	الكاريكاتير
محطات	

معلومات

نبذة عنا	اتصل بنا
لإعلاناتكم	خريطة الموقع
وظائف شاغرة	اتفاقية استخدام الموقع
حقوق الملكية الفكرية	

النشرة البريدية

خطوة بسيطة وتكون ممن يطلعون على الخبر في بداية ظهوره

اشترك

أدخل بريدك الإلكتروني



